مجلة أسبوعية
تهتم بشؤون الحوزات العلمية
الآفاق

التفكير النقدي

الفصل الثاني: المنطق والاستدلال

العدد التاسع: ما هو الاستدلال؟ المقدمة والنتيجة

تعلّمنا في الفصل الأول أنه قبل التصديق بأي فكرة، لا بد من التساؤل: «ما هو الدليل؟». ولكن، ما هي البنية الدقيقة لـ«الدليل» أو «الاستدلال» ذاته؟ يتألف كل استدلال من جزأين رئيسيين: «مقدمة» أو أكثر (وهي قضايا مقبولة يُنطلق منها كأساس)، و«نتيجة» (وهي القضية التي يُدعى أنها مستنتجة من تلك المقدمات).

النقطة التي تُغفل غالباً هي: في كثير من الحوارات اليومية، يطرح الناس النتيجة فحسب، مع إخفاء المقدمات أو نسيانها. فقد يقول قائل: «هذه السياسة سيئة»، دون أن يبيّن بدقة ما هي المقدمات التي استندت إليها هذه النتيجة. وحين تظل المقدمات مضمرة، يتعذر تقييم الاستدلال بموضوعية؛ ولا يتبقى أمامنا إلا الموافقة أو المعارضة الانفعالية.

إن تقليد علم المنطق الذي شكّل على الدوام أحد أركان الدراسات التمهيدية في الحوزات العلمية الشيعية (مثل كتاب «المنطق» للشيخ محمد رضا المظفر، الذي لا يزال يُدرّس حتى اليوم)، يؤكد بدقة على هذا الأصل: فكل «حُجّة» (استدلال معتبر) ينبغي أن تكون مقدماتها صريحة وقابلة للفحص. يتعلّم طالب العلوم الدينية في سنواته الأولى تفكيك القياس المنطقي إلى «صغرى» و«كبرى» ليتسنى له نقد كل منهما على حدة. وهذا هو بعينه ما يمارسه المفكر النقدي اليوم: تفكيك الاستدلال إلى عناصره الأولية القابلة للفحص.

مثال مبسط: يدّعي أحدهم: «بما أن الجميع يشترون هذا المنتج، إذن فهو منتج جيد». لو فككنا هذا الاستدلال سنجد أن: المقدمة الأولى (المضمرة) هي «كل ما كان واسع الانتشار والمبيع فهو جيد» وهي مقدمة تحتاج بذاتها إلى تمحيص (فهل الشهرة دالة على الجودة دائماً؟). أما المقدمة الثانية: «هذا المنتج واسع المبيع». والنتيجة: «إذن هو جيد». حين نكشف عن المقدمة الأولى المضمرة، يتضح وهنها، مما يؤدي إلى تهافت الاستدلال برمته.

تمرين هذا العدد: خذ إحدى الجمل التي استخدمتها اليوم، أو قالها أحد أصدقائك، وتحتوي على صيغة «إذن» أو «بناءً على ذلك»، واعمل على استخراج المقدمات المضمرة فيها وفحصها.

الخلاصة: أمام أي نتيجة تسمعها، اسأل نفسك ما هي مقدماتها المضمرة؛ فنقاط ضعف الاستدلال تكمن عادةً في المقدمات الخفية لا في النتيجة الظاهرة.

ومضات

ومضات
من فكر الشهيد السيد محمد باقر الصدر

* النبوّة ظاهرة ربّانيّة تمثّل رسالة ثوريّة وعملاً تغييراً وإعداداً ربّانيّاً للجماعة لكي تستأنف دورها الصالح. وتفرض ضرورة هذه الثّورة أن يتسلّم شخص النبيّ الرسول الخلافة العامّة لكي يحقّق للثورة أهدافها في القضاء على الجاهليّة والإستغلال، ويبني القاعدة الثوريّة الصالحة لكي يمنّ الله عليهم ويجعلهم أئمّة ويجعلهم الوارثين.

خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء ص:٢١

* يندمج خطّ الشهادة وخطّ الخلافة في شخص واحد وهو النبيّ. فالنبوّة تجمع كلا الخطّين. من هنا اشترط الإسلام في النبيّ العصمة. وفي كلّ حالة يقدر للخطّين أن يجتمعا في واحد بحكم ضرورات التغيّر الرشيد نجد أنّ العصمة شرط أساسيّ في المحور الّذي يقدر له أن يمارس الخطّين معاً لأنه سوف يكون هو الشهيد وهو المشهود عليه في وقت واحد.

خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء ص:٢٢

* الوحي ضرورة من ضرورات تخليد الإنسان على وجه الأرض، وبهذا خلق الله الإنسان وأودعه الاستعداد الكامل والأرضيّة الصالحة بإفاضة هذه الموهبة منه سبحانه.

أهل البيت تنوّع أدوار ووحدة هدف ص: ٤٦

* ليس كلّ إنسان يعيش محمّداً ﷺ مئة بالمئة، وإلاّ لكان كلّ الناس من طلاّبه الحقيقيّين. كلّ إنسان لا يعيش محمّداً إلّا لحظات معيّنة تتّسع وتضيق بقدر تفاعل هذا الإنسان مع رسالة محمّد ﷺ.

أهل البيت تنوّع أدوار ووحدة هدف ص: ٥٣

* نقصد بالعقيدة مجموعة المفاهيم الّتي جاء بها الرسول ﷺ الّتي تعرّفنا خالق العالم وخلقه وما في الحياة ودور الإنسان فيها ومسؤوليّته أمام الله. وقد سُمّيت هذه المفاهيم عقيدة لأنّها معلومات جازمة يعقد عليها القلب.

محمّد باقر الصدر(السيرة والمسيرة) دار العارف للمطبوعات- جزء١- صفحة:٢٦٧

* إذا كان يوم المبعث هو يوم مولد الفكرة الّتي تمخّضت عنها السّماء متمثّلة في رسالة الإسلام الكبرى فإنّ أيام الميلاد المباركة هي الّتي قدّمت للرسالة قادتها الميامين.

مجلة الأضواء العدد ٦-٧ السنة الخامسة ١٩٦٥ – مقال للشهيد الصدر: الرّسالة الفكريّة والقيادة

* نجد أنفسنا مشدودين إلى هذه الذكريات المباركة مرتبطين بها ارتباط حياة لأنّها ذكريات وجودنا الأكبر كأمّة تحت الشمس تحمل لواء الإسلام ومشعل التّوحيد وتحمي كلمة السّماء على وجه الأرض.

مجلة الأضواء العدد ٦-٧ السنة الخامسة ١٩٦٥ – مقال للشهيد الصدر: الرّسالة الفكريّة والقيادة

أسئلة الورود

هل اقتبست مظلومية الزهراء ؑ من قصة فارسية؟

السؤال:

يزعم بعضهم أن البنية التراجيدية لقصة كسر ضلع السيدة فاطمة ؑ مطابقة لقصة الأميرة الفارسية «روكسانا» ابنة كورش، التي يُقال إن قمبيز ركلها وهي حامل فأجهضت ثم ماتت، ويستنتجون من ذلك أن مظلومية الزهراء ؑ مقتبسة من نموذج فارسي قديم.

الجواب:

يبدو هذا الادعاء لأول وهلة مثيراً، لكن الرجوع إلى المصدر الأصلي يكشف أنه قائم على قراءة غير دقيقة. فقصة قمبيز ترد في «تاريخ هيرودوت» (الكتاب الثالث، ترجمة عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبوظبي)، إلا أن الصورة التي يعرضها أصحاب الشبهة لا تطابق النص الذي يستندون إليه.

وأول الأخطاء وصف القصة بأنها «ساسانية»، مع أن قمبيز الثاني ابن كورش من ملوك الدولة الأخمينية في القرن السادس قبل الميلاد، أي قبل قيام الدولة الساسانية بقرون طويلة. وهذا وحده يكشف خللاً تاريخياً في أصل الدعوى.

كما أن رواية هيرودوت لا تعرض الحادثة بالصورة المتداولة: «ركلها في ضلعها فكسر ضلعها ثم أسقطت جنينها وماتت». فإضافة عنصر «كسر الضلع» ليست ثابتة في النص، وإنما أُقحمت لتقريب الرواية من قصة مظلومية الزهراء ؑ.

وهنا تكمن المشكلة المنهجية؛ إذ تُعاد صياغة قصة قديمة حتى تبدو مشابهة لقصة أخرى، ثم يُستدل بهذا التشابه المصطنع على الاقتباس. ومن الطبيعي أن يبدو التشابه كبيراً إذا جرى أولاً تعديل عناصر القصة بما يخدم النتيجة المطلوبة.

ثم إن مجرد وجود امرأتين حاملتين تعرضتا للعنف لا يثبت أن إحدى القصتين مقتبسة من الأخرى. فالتشابه في بعض العناصر لا يكفي لإثبات الاقتباس التاريخي، وإلا لكان كل حدث متشابه في التاريخ منقولاً عما سبقه.

إثبات الاقتباس يحتاج إلى أدلة واضحة، منها إثبات انتقال الرواية الأولى إلى البيئة التي ظهرت فيها الثانية، ووجود طريق معقول للنقل، وقرائن نصية أو تاريخية تدل على الاعتماد المباشر. أما الاكتفاء بتشابه جزئي ثم الادعاء بأن «العقل الجمعي استدعى النموذج الفارسي»، فليس استنتاجاً علمياً، بل فرضية تفتقر إلى البرهان.

ويضاف إلى ذلك اختلاف السياقين اختلافاً جذرياً؛ فقصة قمبيز ـ بحسب هيرودوت ـ حادثة داخل الأسرة الحاكمة، بينما ترتبط روايات مظلومية الزهراء ؑ بالأحداث التي أعقبت وفاة النبي ﷺ، وما دار حول البيعة والهجوم على الدار وإسقاط المحسن. فالسياق والدوافع والشخصيات مختلفة، ولا يجمع بين القصتين إلا وقوع اعتداء على امرأة حامل.

وخلاصة الأمر أن هذه الشبهة لا تقدم دليلاً على اقتباس قصة مظلومية الزهراء ؑ من رواية فارسية، بل تقوم على خطأ تاريخي، وإعادة صياغة للرواية الأصلية، ثم اعتبار التشابه الجزئي دليلاً على الاقتباس من دون أي شاهد تاريخي على انتقال الرواية أو اعتماد المصادر الإسلامية عليها.

فالمنهج التاريخي يميز بين التشابه والاقتباس؛ فالأول يحتاج إلى تفسير، أما الثاني فلا يثبت إلا بالدليل، وهو ما تفتقده هذه الدعوى.

المصدر: مركز الرصد العقائدي (باختصار)

مقتطفات

مسألة فى العصمة

ما حقيقة العصمة التى يعتقد وجوبها للأنبياء و الأئمة ؑ؟و هل هى معنى يضطرّ إلى الطاعة و يمنع من المعصية، أو معنى يضامّ الاختيار؟فإن كان معنى يضطر إلى الطاعة و يمنع من المعصية، فكيف يجوز الحمد و الذم لفاعلها! و إن كان معنى يضامّ الاختيار فاذكروه، و دلّوا على صحة مطابقته له، و وجوب اختصاص المذكورين به دون سواهم؛ فقد قال بعض المعتزلة: إن اللّه تعالى عصم أنبياءه بالشهادة لهم بالاستعصام؛ كما ضلّل قوما بنفس الشهادة عليهم بالضلال؛ فإن يكن ذلك هو المعتمد أنعم بذكره، و دلّ على صحته و بطلان ما عساه يعلمه من الطعن عليه؛ و إن يكن باطلا دلّ على بطلانه و صحة الوجه المعتمد فيه دون ما سواه.

الجواب، اعلم أنّ العصمة هى اللّطف الّذي يفعله اللّه تعالى، فيختار العبد عنده الامتناع من فعل القبيح؛ فيقال على هذا: إنّ اللّه تعالى عصمه بأن فعل له ما اختار عنده العدول عن القبيح؛ و يقال: إن العبد معصوم؛ لأنه اختار عند هذا الدّاعى الّذي فعل له الامتناع من القبيح.

و أصل العصمة فى موضوع اللّغة المنع؛ يقال عصمت فلانا من السوء إذا منعت من حلوله به؛ غير أنّ المتكلّمين أجروا هذه اللفظة على من امتنع باختياره عند اللّطف الّذي يفعله اللّه تعالى به؛ لأنّه إذا فعل به ما يعلم أنه يمتنع عنده من فعل القبيح فقد منعه من القبيح؛ فأجروا عليه لفظة المانع قهرا و قسرا؛ و أهل اللغة يتعارفون ذلك أيضا و يستعملونه؛ لأنهم يقولون فيمن أشار على غيره برأى فقبله منه مختارا، و احتمى بذلك من ضرر يلحقه، و سوء يناله: إنه حماه من ذلك الضرر، و منعه و عصمه منه؛ و إن كان ذلك على سبيل الاختيار.

فإن قيل: أفتقولون فيمن لطف له بما اختار عنده الامتناع من فعل واحد قبيح: إنه معصوم؟

قلنا: نقول ذلك مضافا و لا نطلقه؛ فنقول: إنه معصوم من كذا، و لا نطلق فنوهم أنه معصوم من جميع القبائح، و نطلق فى الأنبياء و الأئمة ؑ العصمة بلا تقييد؛ لأنّهم عندنا لا يفعلون شيئا من القبائح، بخلاف ما يقوله المعتزلة من نفى الكبائر عنهم دون الصغائر.

فإن قيل: فإذا كان تفسير العصمة ما ذكرتم فألاّ عصم اللّه تعالى جميع المكلّفين، و فعل بهم ما يختارون عنده الامتناع من القبائح؟

قلنا: كلّ من علم اللّه تعالى أنه له لطفا يختار عنده الامتناع من القبائح؛ فإنه لا بدّ أن يفعل به؛ و إن لم يكن نبيا و لا إماما؛ لأنّ التكليف يقتضي فعل اللّطف على ما دلّ عليه فى مواضع كثيرة؛ غير أنّه لا يمتنع أن يكون فى المكلّفين من ليس فى المعلوم أنّ شيئا متى فعل اختار عنده الامتناع من القبيح؛ فيكون هذا المكلّف لا عصمة له فى المعلوم و لا لطف. و تكليف من لا لطف له يحسن و لا يقبح؛ و إنما القبيح منع اللّطف فيمن له لطف؛ مع ثبوت التكليف.

فأما قول بعضهم: إن العصمة هى الشهادة من اللّه تعالى بالاستعصام فباطل؛ لأن الشهادة لا تجعل الشيء على ما هو به؛ و إنما تتعلق به على ما هو عليه؛ لأنّ الشهادة هى الخبر، و الخبر عن كون الشيء على صفة لا يؤثر فى كونه عليها؛ فنحتاج أولا إلى أن يتقدم لنا العلم بأنّ زيدا معصوم أو معتصم؛ و نوضّح عن معنى ذلك، ثم تكون الشهادة من بعد مطابقة لهذا العلم؛ و هذا بمنزلة من سئل عن حدّ المتحرّك فقال: هو الشهادة بأنه متحرّك؛ أو المعلوم أنه على هذه الصفة.

و فى هذا البيان كفاية لمن تأمّله.

المصدر» الأمالي، للشريف المرتضى قدس سره

نافذة علي المقالات

السنن الإلهية في الرؤية التفسيرية لآية الله السيّد علي الخامنئي قدس سره

«السنن الإلهية في الرؤية التفسيرية لآية الله الخامنئي» للباحثين سيدة سمانة رضوي ومحسن جوهري، منشور في مجلة «دراسات القرآن والحديث» (مطالعات قرآن و حديث)، السنة السادسة عشرة، العدد الأول، العدد المتسلسل ٣١، خريف وشتاء ٢٠٢٢-٢٠٢٣م، ص ١٦١-١٨٠.

موضوع المقال

يتناول البحث مفهوم «السنن الإلهية» بوصفها قوانين ثابتة وشاملة تحكم نظام الخلق وتدبير عالم الوجود، ويركز على استقراء هذه السنن في الرؤية التفسيرية لآية الله الخامنئي. وينطلق من أن فهم القوانين الإلهية لا يقتصر على الجانب النظري، بل يمثل أساسًا لهداية الإنسان، وفهم حركة المجتمعات، وتدبير شؤونها، وتوجيه مسار التغيير الاجتماعي بما ينسجم مع نظام الوجود.

سؤال البحث وإشكاليته

يسعى الباحثان إلى الإجابة عن ثلاثة أسئلة مترابطة: ما السنن الإلهية الحاكمة لعالم الخلق في رؤية آية الله الخامنئي؟ وما الخصائص التي تتميز بها؟ وما الآثار المترتبة على إدراك هذه السنن ومراعاتها في حياة الإنسان؟ وتكمن الإشكالية في كيفية الانتقال من مفهوم السنن الإلهية بوصفه مبدأً قرآنيًا وتفسيريًا إلى إطار لفهم الواقع المعاصر وتحليل حركة الأفراد والجماعات. فمعرفة هذه السنن لا تعني جمع معلومات دينية فحسب، بل تقتضي إدراك القوانين المؤثرة في مصير الإنسان والمجتمع، وربط السلوك والنتائج بنظام إلهي يتجاوز العوامل الظرفية العابرة.

منهج الدراسة

اعتمد الباحثان مقاربة نوعية، واستفادا من منهج تحليل الموضوعات في استقراء آراء آية الله الخامنئي وتصنيفها. وجرت عملية التحليل عبر مسح النصوص، واستخراج الرموز الوصفية والتفسيرية، ثم تنظيمها في مقولات كلية ومحاور موضوعية. وقد أتاح هذا المنهج الكشف عن البنية الداخلية للرؤية المدروسة، وربط خصائص السنن الإلهية بمصاديقها وآثارها العملية.

أبرز الأفكار والنتائج

ينظم البحث نتائجه في ثلاثة محاور رئيسية. يتناول المحور الأول خصائص السنن الإلهية، ويخلص إلى أربع خصائص أساسية: انسجامها مع الحق، وثباتها واستمرارها عبر التاريخ، وشمولها مختلف مجالات الوجود والحياة، وارتباطها بالتشريع. فالسنن الإلهية، وفق الرؤية المعروضة، تنصر مسار الحق وتعارض مسار الباطل، ولا تتغير بتغير الأشخاص والظروف. كما أن شمولها يجعلها فاعلة في حياة الفرد والمجتمع والتاريخ، في حين أن صلتها بالتشريع تعني أن القوانين المنظمة لحياة الإنسان ينبغي أن تنسجم مع حقائق نظام الخلق.

أما المحور الثاني، فيتعلق بمصاديق السنن الإلهية، ومن أبرزها النصر النهائي للحق على الباطل، ونصرة المؤمنين، وتأثير السعي والعمل في النتائج، وارتباط مصير الأمم بإرادتها وجهدها، فضلًا عن الابتلاء والعقوبة. ويقدم البحث سنة النصر النهائي للحق بوصفها سنة محورية، لا تلغي ما قد يمر به الحق من ضعف أو تأخر، لكنها تجعل مآل الصراع التاريخي لصالحه.

ويبحث المحور الثالث في آثار معرفة السنن ومراعاتها. فهذه المعرفة تسهم في هداية الإنسان، وتساعده على توجيه سلوكه وفق حقائق الوجود، كما تمنحه قدرة أكبر على تحليل حركة المجتمعات وتدبيرها. ويشبّه المقال مخالفة السنن الإلهية بسوء استخدام المهندس لأجزاء الآلة، إذ يؤدي تجاهل نظامها إلى اضطرابها وتعطلها. ومن ثم، فإن نجاح الإنسان والجماعة يرتبط بمدى توافق الحركة الإنسانية مع القوانين الحاكمة للكون والمجتمع.

القيمة العلمية

تكمن قيمة المقال في تنظيمه رؤية تفسيرية معاصرة لمفهوم السنن الإلهية، وربطه بين القوانين التكوينية والتوجيه العملي في حياة الإنسان والمجتمع. كما يقدم إطارًا مفيدًا للباحثين في الدراسات القرآنية وفلسفة الدين والفكر الاجتماعي الإسلامي، من خلال بيان الصلة بين فهم السنن وتحليل التغيير الاجتماعي وتدبير الواقع.

تقييم تحريري

يمتاز المقال بوضوح محاوره وباعتماده منهج تحليل موضوعي يساعد على تصنيف المادة التفسيرية واستخراج نتائجها. كما يحسن الربط بين خصائص السنن الإلهية ومصاديقها وآثارها العملية. ومع ذلك، يغلب على الدراسة الطابع النظري، وكان يمكن تعزيز نتائجها بأمثلة تطبيقية أكثر تفصيلًا من الواقع الاجتماعي المعاصر. كما أن بعض الشواهد والأرقام في النسخة المقروءة من الملف تعاني اضطرابًا محدودًا بسبب مشكلات الاستخراج النصي، من دون أن يؤثر ذلك في وضوح الأفكار المركزية للبحث.

إعداد: الآفاق

مصطلح الأسبوع

عهد الفتَرَة

تُعرَف «الفَترَة» في الاصطلاح الديني والتاريخي بأنها الحقبة الزمنية التي ينقطع فيها الوحي المباشر ولا يُبعث فيها رسول بين الناس؛ وقد استُوحِي هذا المفهوم من الآية التاسعة عشرة من سورة المائدة (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا)، بينما تعني في اللغة الضعف والسكون بعد الشدة. وقد طرح علماء الإسلام آراء متباينة حول حقيقة هذه الفترات ومصاديقها.

يرى بعض المفسرين أن الفترة تعني الانقطاع التام للرسل وعدم بعثة أي نبي، بينما يرفض آخرون هذا التفسير مؤكدين أنها تعني السكون أو التقية أو خلو الزمان من نبي صاحب شريعة وكتاب فقط. وقد ذكرت المصادر التاريخية فترات متعددة؛ كالفترة بين إدريس ونوح، ونوح وهود، وصالح وإبراهيم، وأشهرها الفترة بين عيسى ؑ وپيامبر الإسلام محمد ﷺ والتي تُقدَّر في الروايات بخمسمائة أو ست مائة عام.

مع ذلك، أشارت بعض الروايات التاريخية إلى وجود أنبياء خُفْيَة أو مصلحين وأوصياء (مثل خالد بن سنان وغيره) في تلك الفترات. وقد أثارت قضية الفترة دائماً تساؤلاً كلامياً حول كيفية توافق انقطاع الرسل مع قاعدة عدم خلو الأرض من حجة لله؛ فأجاب المتكلمون والمفسرون كالشيخ الصدوق والشيخ الطوسي والعلامة الطباطبائي بإجابات متعددة، منها أن المقصود بالفترة غياب أنبياء الشرائع لا انقطاع الحجة المطلق، أو أن دعوة الأولياء والعلماء استمرت سراً في ظل التقية لكي لا تبقى الأرض خالية من الهداية الإلهية.

قبَسٌ مِن نور

الجنّة التي ننسى مَن منحنا إيّاها

د. أحمد باقر الطويل

ليست أخطر لحظات الإنسان حين يفقد ما يملك، بل حين ينسى، وهو يملكه، أنّه قابلٌ للفقد. فالنعمة حين تطول صحبتها قد تفقد في أعيننا دهشتها، فنألفها حتى نظنّ أنّ بقاءها أمرٌ طبيعيّ، وأنّ ما وصلنا إليه ليس إلا ثمرة جهدنا وقدرتنا، متناسين أنّ وراء كلّ نجاحٍ أسبابًا لم نصنعها، ونعمًا لم نخلقها من العدم.

في سورة الكهف، يحكي القرآن قصة رجلٍ امتلك جنّتين، وأُحيطتا بالنخيل والزروع، وتفجّرت بينهما الأنهار، فاغترّ بما لديه حتى قال: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَـٰذِهِ أَبَدًا﴾. لم تكن مشكلته أنّه امتلك، بل أنّه تعامل مع ما يملك كأنّ بقاءه مضمون، وكأنّ ما اجتمع له دليلٌ على قوّته واستحقاقه.

وفي قلب القصة تأتي كلمات المؤمن التي تختصر معنى الغفلة وعلاجها: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾.

ليست هذه العبارة مجرّد كلماتٍ تُقال حين نرى شيئًا جميلًا؛ إنّها تصحيحٌ لطريقة نظرنا إلى الوجود. فالبستان الذي يراه الإنسان ثمرةً لجهده يحتاج إلى أرضٍ وماءٍ وشمسٍ وبذور، وإلى جسدٍ قادرٍ وعقلٍ مدبّر، فضلًا عن ظروفٍ لا يملك التحكّم فيها كلّها. لقد سعى الإنسان، نعم، لكنّه لم يصنع من العدم كلّ ما جعل سعيه ممكنًا.

لذلك لا تعني ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ إنكار الجهد، بل وضعه في حجمه الحقيقيّ؛ فلا نُهمل الأسباب، ولا نعبدها، ولا ننسب إلى أنفسنا استقلالًا لا نملكه. فالفرق كبير بين إنسانٍ يفرح بنجاحه ويعرف حدود قدرته، وآخر يجعل نجاحه دليلًا على أنّه قادرٌ على ضمان المستقبل. ثمّ تأتي ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ لتذكّرنا بأنّ قدرتنا حقيقية، لكنّها ليست مستقلّة. نخطّط ونجتهد، غير أنّنا لا نملك كلّ الظروف ولا نضمن جميع النتائج. وهذا المعنى لا يدعونا إلى التواكل، بل إلى أن نعمل بمسؤولية، من غير غرورٍ عند النجاح، ولا يأسٍ حين تتعثّر الخطوات.

قد تكون جنّة أحدنا مالًا، أو منصبًا، أو علمًا، أو نجاحًا، بل قد تكون صورةً يحبّ أن يراها الناس فيه. والخطر أن تتحوّل النعمة من شيءٍ ننتفع به إلى شيءٍ نستمدّ منه قيمتنا؛ فلا يعود المال وسيلةً للعيش، بل مقياسًا للتفوّق، ولا يعود النجاح ثمرةً للسعي، بل شرطًا لاستحقاق الاحترام. عندئذٍ يصبح فقدان الشيء تهديدًا للذات، لا مجرّد تغيّرٍ في الظروف. وربّما يضحّي الإنسان بمبادئه ليحافظ على ما يظنّ أنّه يمنحه قيمته، ناسيًا أنّه جعل أمانه معلّقًا بأمرٍ لا يستطيع ضمان بقائه.

ومن هنا تأتي أهمية الشكر قبل الفقد. فقد وجّه المؤمن صاحب الجنّتين إلى ذكر الله عند دخول جنّته، لا بعد خرابها. إنّها دعوةٌ إلى أن نرى النعمة وهي بين أيدينا، وأن نشكرها من غير أن نعيش أسرى الخوف من زوالها. والشكر ليس كلماتٍ على اللسان فحسب، بل حسن استعمالٍ للنعمة، وتواضعٌ بها، وألّا نجعلها وسيلةً للتعالي على الآخرين. وليس معنى القصة أنّ كلّ مَن فقد نعمةً قد عوقب على غروره؛ فالابتلاءات تختلف، وحِكَمها لا نحيط بها. إنّما العبرة ألّا يجعلنا ما نملك ننسى حدودنا، أو نغفل عمّن أنعم علينا.

حين دخل صاحب الجنّتين، رأى الثمرة، ولم يرَ كلّ ما جعلها ممكنة؛ ورأى ما يملك، حتى ظنّ أنّه لن يزول. ولعلّنا لا نختلف عنه كثيرًا حين نألف النعم، وننسى أنّ وجودها ليس ضمانًا لبقائها، وأنّ قيمتنا أوسع من كلّ ما نمتلكه. فليست المأساة أن نفقد بعض ما نحبّ، بل أن نكتشف بعد فقده أنّنا ربطنا به معنى حياتنا كلّه .

ويبقى السؤال: لو سُلب منّا اليوم ما نظنّ أنّنا لا نستطيع الحياة من دونه، فهل سنحزن على نعمةٍ فقدناها، أم سنكتشف أنّنا جعلناها مصدر قيمتنا وأماننا، ونسينا مَن منحنا إيّاها؟

حرّاس التراث

السيد جلال الدين المحدّث الأرموي... أمين المخطوطات ومحقق التراث الإسلامي

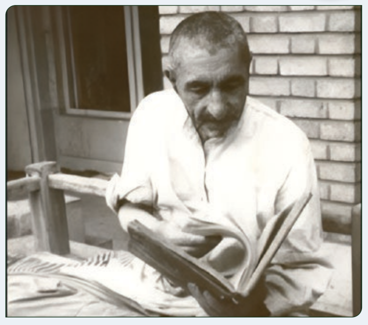

يمثّل السيد جلال الدين الحسيني الأرموي، المعروف بـ«المحدّث الأرموي»، واحداً من أبرز المحققين الذين نذروا حياتهم لإحياء التراث الإسلامي وصيانة المخطوطات النادرة وإخراجها في صورة علمية رصينة. ولم يكن مشروعه مجرد تحقيق للنصوص القديمة، بل كان جهداً علمياً متكاملاً لإعادة الاعتبار إلى المصادر الأصيلة، والكشف عن قيمتها في دراسة التاريخ والحديث والفقه والفكر الإسلامي. وقد ترك بصمة واضحة في حركة إحياء التراث خلال القرن الرابع عشر الهجري، حتى عُدّ من أعلام التحقيق العلمي في إيران والعالم الإسلامي، وأصبح اسمه مقترناً بالدقة والأمانة العلمية وخدمة الكتاب الإسلامي.

مسيرة علمية بين الحوزة والجامعة

وُلد السيد جلال الدين الحسيني الأرموي سنة ١٣١٣هـ/١٨٩٥م في مدينة أرومية، ونشأ في أسرة علمية علوية، فتلقى مبادئ العلوم الإسلامية على أيدي علماء عصره، قبل أن يتوسع في دراسة الفقه والأصول والحديث واللغة والتاريخ. وقد جمع بين التكوين الحوزوي الأصيل والانفتاح على المناهج الأكاديمية الحديثة، الأمر الذي أهّله ليكون جسراً بين المدرستين في مجال تحقيق النصوص. شغل الأرموي مناصب علمية وثقافية متعددة، وأسهم في عدد من المؤسسات المعنية بالمخطوطات والتراث، كما ارتبط بعلاقات علمية مع كبار الباحثين والمحققين في عصره. وقد عُرف بتواضعه وبعده عن الأضواء، مفضلاً أن يتحدث عنه عمله العلمي لا حضوره الإعلامي، حتى رحل سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م بعد مسيرة امتدت لعقود من البحث والتدقيق.

إحياء المخطوطات... مشروع العمر

ارتبط اسم المحدّث الأرموي بإحياء عدد كبير من أمهات الكتب الإسلامية، حيث كرّس جهوده لتحقيق النصوص اعتماداً على النسخ الخطية، ومقابلتها، وتوثيق نصوصها، مع كتابة مقدمات علمية أصبحت نموذجاً في التحقيق الأكاديمي. ولم يكن يكتفي بإخراج النص، بل كان يدرس مؤلفه ومصادره وقيمته العلمية، مما جعل تحقيقاته مراجع يعتمد عليها الباحثون. وقد شملت أعماله كتباً في الحديث والتاريخ واللغة والأدب والفلسفة، وأسهمت في إنقاذ عشرات المؤلفات من الإهمال أو الضياع، لتعود إلى الساحة العلمية في طبعات محققة دقيقة. ومن خلال هذا الجهد، رسّخ ثقافة التحقيق العلمي بوصفها مسؤولية حضارية تتجاوز مجرد النشر إلى حفظ الذاكرة الفكرية للأمة.

منهج علمي في خدمة التراث

تميّز الأرموي بمنهج صارم في التحقيق، يقوم على احترام النص، والرجوع إلى أقدم النسخ، والاستفادة من المصادر الموازية، مع الالتزام بالأمانة العلمية في توثيق الفروق والتعليقات. ولذلك اكتسبت أعماله ثقة الأوساط العلمية، وأصبحت مثالاً يحتذى به لدى أجيال من المحققين.

كما أسهم في تدريب عدد من الباحثين على أصول التحقيق وفهرسة المخطوطات، وكان يؤمن بأن حماية التراث لا تتحقق بجمع الكتب وحده، وإنما بإعداد الكفاءات القادرة على قراءتها وتحقيقها، وإتاحتها للدارسين وفق أسس علمية رصينة.

قيمة التجربة في العصر الحاضر

تكمن أهمية تجربة السيد جلال الدين المحدّث الأرموي في أنها تؤكد أن صيانة التراث تبدأ من العناية بالمخطوطات وإحياء النصوص المؤسسة للهوية العلمية الإسلامية. وفي زمن تتسارع فيه وسائل النشر الرقمي، تظل منهجيته في التحقيق والتوثيق نموذجاً للباحث الذي يجمع بين الدقة العلمية والإخلاص للتراث، بعيداً عن التسرع أو التساهل في التعامل مع المصادر. وقد أثبت الأرموي أن خدمة المخطوطات ليست عملاً فنياً فحسب، بل مشروعاً حضارياً يحفظ ذاكرة الأمة ويضمن انتقالها إلى الأجيال المقبلة بصورة علمية موثوقة.

يبقى السيد جلال الدين المحدّث الأرموي مثالاً للمحقق الأمين الذي جعل من إحياء المخطوطات وصيانة التراث الإسلامي رسالة عمر، وأسهم في حفظ جانب مهم من الذاكرة العلمية للأمة وإيصاله إلى الباحثين بأعلى درجات الدقة والتحقيق.

إعداد: الآفاق